الخيال في وصف المنظر في معلقة امرئ القيس
دراسة وصفية تحليلية

ملخص البحث: MIJICHAO [1]

يتناول هذا البحث الخيال في وصف المنظر بعد قوة السيل لمعلقة امرؤ القيس دراسة وصفية تحليلية، فيهدف إلى توضيح مفهوم الخيال وتحليل أبيات المعلقة وبيان دور الخيال في تشكيل الصورة، من أجل إبراز شخصية الشاعر امرئ القيس، ويتبع البحث المنهج الوصفي التحليلي في الدراسة. وقد وجد البحث أن الشاعر امرأ القيس له أسلوب رائع ولفظ لطيف في تصوير الصورة، واجتماع المنظرين المختلفين في تشكيل الصورة أي المنظر الجميل قبل السيل والمنظر القبيح بعد السيل، حتى يعبر عن عواطفه المختلفة التي تنتج من حياته من بيئة نعومة إلى حالة قاسية طريدة، كذلك يظهر ضعفه أمام الحالات المضطرة وحزنه الشديد وألمه النفسي أمام الحياة القاسية.وقد كان من نتائج ذلك أن أظهر البحث شيئا من إبداعات امرئ القيس في التعبير عن الخيال في وصف منظر السيل .

ABSTRACT

This research discusses the imagination in description of the scene after the power of torrent in the poems anthology (Mu'allaqah) of Imru' al-Qais: an example and choice. this research aims to explain the meaning of imagination and Analysis of poetry, and statement its role for formation the Image, for Highlight the personality of the poet. The research adopted a descriptive analysis methodology of Thematic study, The research found that poet Imru' al-Qais had Wonderful style and nice pronunciation in photographing, he Met different theorists in shaping the image, Which the Beautiful sight Before Torrent and the ugly landscape after torrent, Even expresses his different emotions that Produced from his life (From a smooth environment to a harsh prey), As well Shows his weakness in front of Forced cases, and his sadness and his psychological pain in front of harsh life.

[1] – طالب صيني في مرحلة الدكتوراه – كلية اللغة العربية في جامعة السلطان عبد الحليم معظم شاه الإسلامية العالمية

الخيال في وصف المنظر في معلقة امرئ القيس، دراسة وصفية تحليلية

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة وسلام على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مهما ازدهرنا في الحضارة والثقافة، ومهما تطور شعرنا العربي وتوسعنا في أغراضه وأساليبه، فما زال شعر الجاهلية من أصدق الشعر العربي وأعذبه والأعلى القيمة في الأدب العربي، فأما أروع الشعر الجاهلي هو المعلقات، فإن المعلقات تجذب عيون الناس من القديم حتى الآن، لأنها من أصدق الشعر وأبعده أثرا وأعمقه حسا، فهي تظهر حياة الجاهليين وعاداتهم وثقافاتهم وعواطفهم ...

أما الشاعر امرؤ القيس فهو أمير الشعراء، ورئيس الطبقة الأولى وفحل من فحول أهل الجاهلية، فأروع شعره في المعلقة هو شعر الغزل والوصف، لذلك سمي بشاعر المرأة والطبيعة، فمعلقته تشتمل على ثمانين بيتا من البحر الطويل، وموضوعه يقسم إلى وصف الأطلال وما يتصل بذلك من ذكريات وبكاء، ووصف المغامرات الغرامية، وكذلك وصف الليل والوادي والفرس والصيد والبرق والسيل. وتمثل وصف السيل الختام الوصفي في معلقته، فهو يمثل رسم الصورة الخيالية الواسعة في الذهن.

لعل السبب في اختيار شعر وصف السيل من معلقة امرئ القيس، أنه يتمثل نموذجا مثاليا من الخيال في وصف الطبيعة، أي وصف المنظر بعد قوة السيل، فاستخدم الشاعر الخيال في إظهار البيئة الجميلة والبيئة اليائسة أمامه، وأيضا ابراز ما في قلبه من الحزن والوحشية والنحس، كذلك أبرز الغرض الشعري وعلاقته المتحكمة بمصيبة الشاعر.

هذا،وقد أتت هذه الدراسة في ثلاثة مباحث تتبعها الخاتمة والنتائج على النحو التالي:

المبحث الأول: الشاعر امرؤ القيس ومعلقته

المبحث الثاني: الخيال ودوره في تشكيل الصورة

المبحث الثالث: المنظر بعد قوة السيل

المبحث الأول: الشاعر امرؤ القيس ومعلقته

لمحة حول امرئ القيس (نحو 130 – 80 ق هـ = نحو 497 – 545 م)

"امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، من بني آكل المرار : أشهر شعراء العرب على الاطلاق. يماني الأصل. مولده بنجد، أو بمخلاف السكاسك باليمن. اشتهر بلقبه، وكان أبوه ملك أسد وغطفان، وأمه أخت المهلهل الشاعر"[2].

"ويكني امرؤ القيس أبا وهب، وكان يقال له الملك الضليل، وقيل له ذو القروح".[3]

"وأمه أخت المهلهل الشاعر، فلقنه المهلهل الشعر، فقاله وهو غلام، وجعل يشبب ويلهو ويعاشر صعاليك العرب، فبلغ ذلك أباه، فنهاه عن سيرته فلم ينته. فأبعده إلى (دمون) بحضرموت، موطن آبائه وعشيرته، وهو في نحو العشرين من عمره. فأقام زهاء خمس سنين، ثم جعل يتنقل مع أصحابه في أحياء العرب، يشرب ويطرب ويغزو ويلهو، إلى أن ثار بنو أسد على أبيه وقتلوه، فبلغ ذلك امرأ القيس وهو جالس للشراب، ونهض من غده فلم يزل حتى ثأر لأبيه من بني أسد، فطاف قبائل العرب حتى انتهى إلى السموأل، فأجاره. فمكث عنده مدة. ثم رأى أن يستعين بالروم على الفرس. فقصد الحارث ابن أبي شمر الغساني (والي بادية الشام) فسيره هذا إلى قيصر الروم يوستينيانس Justinianus (ويسمى Justinien ler في القسطنطينية. فوعده ومطله. ثم ولاه إمارة فلسطين (البادية) ولقبه (فيلارق) Phylarck) أى الوالي، فرحل يريدها. فلما كان بأنقرة ظهرت في جسمه قروح.فأقام إلى أن مات في أنقرة".[4]

---

[2] – الأعلام لخير الدين بن محمود بن مُحَمَّد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي ، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر – أيار / مايو 2002 م، ج2، ص11.

[3] – المعلقات الشعر وأخبار قائليها ص4. لحضرة الأستاذ الفاضل الشيخ أحمد الأمين الشنقيطي نزيل، الناشر مكتبة الخارجي بالقاهرة، الطبعة الثالثة 1413هـ – 1993م.

[4] – الأعلام، ج2، ص12.

تراجم شعراء الموسوعة الشعرية ج1 ص936.

الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ، دار الفكر – بيروت، الطبعة الثانية، ج9 ص93.

مكانته الشعرية:

"امرؤ القيس فحل من فحول أهل الجاهلية، وهو رأس الطبقة الأولى وقرن به ابن سلام زهيرا والنابغة وأعشى قيس والأكثر على تقديم امرئ القيس، قال يونس بن حبيب: إن علماء البصرة كانوا يقدمون امرأ القيس ابن حجر، وإن أهل الحجاز والبادية كانوا يقدمون زهيرا والنابغة.

وقيل للفرزدق من أشعر الناس؟ قال: ذو القروح يعني امرأ القيس. وسئل لبيد من أشعر الناس؟ فقال: الملك الضليل. قيل: ثم من؟ قال: ابن العشرين يعني طرفة. قيل له: ثم من؟ قال: أبو عقيل " يعني نفسه".وليس مراد من قدم امرأ القيس أنه قال ما لم تقله العرب، ولكنه سبقهم إلى أشياء ابتدعها ، استحسنتها العرب واتبعه فيها الشعراء، منها استيقاف صحبه، والبكاء في الديار، ورقة النسيب، وقرب المأخذ، وتشبيه النساء بالظباء والبيض، والخيل بالعقبان والعصي وقيد الأوابد".[5]

معلقته:

أما المعلقة – ثمانون بيتا من البحر الطويل – فقد شرحها كثيرون منهم الزوزني والتبريزي. وطبعت مرات مع سائر المعلقات، وترجمت إلى لغات عدة منها اللاتينية والفرنسية والروسية.

الباعث على نظمها:

"إن الذي حمل امرأ القيس على نظم المعلقة هو"يوم دارة جلجل" حيث التقى بعنيزة ابنة عمه شرحبيل – وكان هائما بها – تتنزه بسرب من العذارى، فذبح لها ولهن ناقته، وعلى أثر ذلك نظم مطولته مقاطع مقاطع، على الأغلب، فوصف الحادث وأضاف إليه شتى الذكريات مما جرى له قبل مقتل أبيه، فكانت قصيدته وليدة حبه لعنيزة ووليدة ولعه بالصيد والضرب في البلاد.

وقسم امرؤ القيس المعلقة إلى ثلاثة أقسام كبرى:

[5] – طبقات فحول الشعراء ، لابن سلام، تحقيق محمود شاكر، دار المعارف مصر 1952م، ص51.

1- الوقوف على الأطلال وما يتصل بذلك من ذكريات وبكاء (1-8)

2- وصف المغامرات الغرامية ولاسيما يوم دارة جلجل (9-42)

3- وصف ما لقيه في تشرده:

4- وصف الليل(42-46)

5- وصف الوادي يعوي فيه الذئب(47-50)

6- وصف الفرس والصيد(51-68)

7- وصف البرق(69-70)

8- وصف السيل(71-80)"[6]

والمطلع من معلقته:

قال الشاعر امرؤ القيس:

قَفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْ مَلِ[7]

المبحث الثاني: الخيال ودوره في تشكيل الصورة

تعريف الخيال:

فالخيال هو من مصادر الصورة ، "فحين تدور في ضمير الشاعر فكرة تلح عليه مصحوبة بعاطفة قوية فإنه يندفع للتعبير عن هذه المشاعر التي تضغط عليه ضغطا شديدا فيخفف عن نفسه بنقل إحساسه إلى الآخرين، فيستثير طاقة الخيال، وهي الطاقة التي تجمع عناصر متفرقة من الذاكرة والعقل لتصنع منها صورة".[8]

6 - تاريخ الأدب العربي لحنا الفاخوري ، للمكتبة البولسية، الطبعة الثانية عشرة 1987م، ص82.

7 - ديوان امرئ القيس، ضبطه وصححه مصطفى عبد الشافي ، دار الكتب العلمية، ط5 2004م، ص110 .

8 - خالد بوزياني، الصورة الأدبية وخصائصها اللغوية عند البلاغيين والأسلوبيين، جامعة الجزائر 2007، ص129.

"الخيال هو قدرة الإنسان على تمثل الأشياء الحسية والمدركات الخارجة عن طريق ملكة التفكير التي من مميزاته الهامة. وقد أدى اتساع أفق الصحراء إلى اتساع خيال الشاعر الجاهلي، واستطاع بواسطته أن يؤلف صوره بنشاط عقلي وروحي يعكس ما في قلبه وعلقه، فكانت غايته نقل المشاهدات والتجارب التي شاهدها أو مر بها عن طريق التشبيه والاستعارة والكناية"[9].

الخيال هو ملكة فنية راقية إذ يقول العقاد:" وأصدق ما يقال في تعريفها أنها ملكة تساعدنا على استحضار الصور والأحاسيس والإحاطة بالواقع من جميع نواحيه، وتوسعه لآفاق الحياة حتى نستطيع أن نعيش في أكثر من مكان وأكثر من لحظة واحدة بما نستحضره من الأماكن البعيدة والقريبة، وما نستحييه من الصور الحاضرة والماضية"[10].

الخيال في عصر الجاهلية

الخيال في الأشعار الجاهلية كان محدودا في البيئة والحياة، لكنه ينتج من فطرة النفس والعواطف الحقيقية، كما قال مُحَمَّد خضر:"كان العرب في الجاهلية يعيشون في مواطن لا يشهدون فيها غير مناظر فطرية كالكواكب وبعض النبات والحيوان أو مرافق حيوية ووسائل حربية كالرحى والجفنة والرمح والحسام ولصفاء قرائحهم وسلامة أذواقهم أضافوا إلى هذه الحقائق ما يخطر على ضمائرهم ويدركونه بحاسة وجدانهم من المعانى التي لا تنالها الحواس الظاهرة كالغضب والرضاء والبغض والمحبة ونسجوا على مثال التخيل صورا بدية. وإن رأي المدني اليوم أن معظم تلك الصور من التخيلات القريبة فعذرهم في ذلك أنهم لم ينفذوا في مسالك الفلسفة ولم يعودوا أنفسهم التنقيب عن المعاني الغامضة وإنما كانوا ينطقون بالشعر على البداهة."[11]

دور الخيال في التصوير:

9 - السبع المعلقات دراسة أسلوبية، ص14.

10- مصطفى درواش، الموقف النقدي لجماعة الديوان من الشعر العربي، ص396.

11 - مُحَمَّد الخضر حسين التونسي، الخيال في الشعر العربي، المكتبة العربية في رمشق، المطبعة الرحمانية، 1922م، ص82.

والخيال أدى دورا كبيرا في توضيح الصورة، لأن الحقيقة المجردة لا تكفيه للتعبير عن نفسه، كما أن الخيال يجمع الصور في العاطفة، "يستخدم مفهوم الخيال في المصطلح النقدي المعاصر للدلالة على القدرة على الجمع بين الصور، وتحقيق الانسجام بين عناصر النص الأدبي"[12]. كذلك "وأن الصورة نتاج لفاعلية الخيال، وفاعلية الخيال لا تعنى نقل العالم أو نسخه، وإنما تعني إعادة التشكيل واكتشاف العلاقات الكامنة بين الظواهر والجمع بين العناصر المتضادة أو المتباعدة في وحدة"[13].

المبحث الثالث: المنظر بعد قوة السيل

معلقة الشاعر امرئ القيس هي أشهر المعلقات الجاهلية، وأكملها فنية، وسار على نهجها معظم قصائد العصر الجاهلي من حيث الابتداء بالبكاء على الأطلال، ومناجاة الأصحاب، وذكر الخواطر النفسية والوجدانية التي تضطرم بها نفس الشاعر، حيث يقص الشاعر فيها نفسَه في عواطفه، وخواطره، وتأملاته، إلى جانب ذكره عناصر البيئة التي تحيط به في جانب وصفي متقصٍ كان عليه مدار الشعر وصنعته حتى وقت قريب ، فوصف الحبيبة ثم الليل وطوله وأهواله ورحلاته في الليل، فالحديث عن البرق والمطر ووصف بعض مظاهر الطبيعة البدوية، فختم بوصف السيل، لكن أسلوبه في وصف السيل اختلف عن الآخرين، وهذ يتضح عند قرائتنا لشعر امرئ القيس ومن أبلغ ما جاء في وصف قوة السيل قول امرئ القيس في المعلقة:

وَأَلْقَى بصَحراءِ الْغَبيطِ بَعاعَهُ نزُولَ اليماني ذي العِيابِ المحمَّلِ[14]

12 – جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغية، دار الثقافة، القاهرة، 1974م، ص17.

13 – الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، ص213.

14 – الغبيط: أكمة قد انخفض وسطها وارتفع طرفاها، وسميت غبيطا تشبيها بغبيط البعير. البعاع: الثقل. نزول اليماني: أي نزول التاجر اليماني. العياب: جمع عيبة الثياب.

كَأَنَّ مَكاكّي الجِواءِ غُدَيَّةً صُبِحْنَ سُلافاً من رَحيقٍ مُفَلْفَلِ[15]

كأنَّ الْسِّباعَ فِيهِ غَرْقَى عَشِيَّةً بِأَرْجَائِهِ الْقُصْوَى أَنَابِيشُ عُنْصُلِ[16]

و امرؤ القيس هو شاعر الطبيعة حيث وصف الطبيعة بدقة وروعة، كذلك هو ليس في وصف الطبيعة مجردا، بل أضاف إليه فكرته وغرضه وعاطفته حتى يدركها الناس جميعا، كما قال في وصف المنظر بعد السيل حيث صور المشهدين المختلفين، وفيهما المشهد الجميل والسعيد حول أكمة وطير وخمر، وفيهما المشهد القبيح واليائس حول جثة السباع وجذور البصل.

وقد ذكر الشاعر فوائد السيل من إلقاء حياة جديدة في صحراء الغبيط، فشبه هذا المنظر بالتاجر اليماني، كما شرح الزوزني:" ألقى هذا الحيا ثقله بصحراء الغبيط فأنبت الكلأ وضروب الأزهار وألوان النبات، فصار نزول المطر به كنزول التاجر اليماني صاحب العياب المحمل من الثياب حين نشر ثيابه يعرضها على المشترين"[17]. فشبه الشاعر نزول المطر بنزول التاجر من أجل توكيد نزول الخيرات، ثم شبه ضروب النبات الناشئة من المطر بصنوف الثياب المنشور من التاجر عندما عرضها للبيع، أراد أن يوضح كثرة الخيرات والفوائد بعد نزول المطر، ألقى الشاعر لنا التخيل الواسع حول المنظر بعد نزول المطر باستخدام أسلوب التشبيه، فذكر أن الصحراء الجافة اليابسة أحوج إلى سقاية المياه، والمطر أعطى لها حياة جديدة مليئة بألوان متنوعة وأصوات رنينة، مثل التاجر اليماني الذي عرض الأقمشة الجميلة والألبسة الرائعة أمام الناس، شبه المحسوس بالمحسوس حتى يظهر المشهد الجميل بعد نزول المطر. فهذا البيت يركز الشاعر فيه على ناحية اللون.

15 – المكاء: ضرب من الطير. الجواء: الوادي، جمع الجوء. غدية: تصغير غدوة أو غداة. الصبح سقي الصباح، شرب الصبوح. السلاف: أجود الخمر وهو ما انعصر من العنب من غير عصر. المفلفل: الذي ألقى فيه الفلفل.

16 – الغرقي: جمع غريق. العشي: ما بعد الزوال إلى طلوع الفجر وكذلك العشاء. الأرجاء: النواحي الواحد رجا. القصوى والقصياء: تأنيث الأقصى وهو الأبعد. الأنابيش: أصول النبت سميت بذلك لأنها ينبش عنها، واحدتها أنبوشة. العنصل: البصل البري. ديوان امرئ القيس ص122.

17 – شرح المعلقات السبع للزوزني، ص41.

بعد ذلك واصل الشاعر التخيل في وصف الطبيعة بعد السيل، حيث وصف صوت الطير من الرنة والعذبة والتغريد، كأنها شربت أجود الخمر حتى تخرج الصوت الرائع، كما قال الزوزني في شرحه:"كأن هذا الضرب من الطير سقي هذا الضرب من الخمر صباحا في هذه الأودية، وإنما جعلها كذلك لحدة ألسنتها وتتابع أصواتها، ونشاطها في تغريدها، لأن الشراب المفلفل يحذي اللسان ويسكر، فجعل نشاط الطير كالسكر وتغريدها بحدة ألسنتها من حذي الشراب المفلفل إياها."[18] وضح البيت سبب تغريد الطير الرائع بأنها شربت أجود الخمر والفلفلة، حتى يرسم الصورة التي تملأ بالسعادة والأمن والهدوء فيها الطير والوادي، هذا البيت يركز الشاعر فيه على ناحية الصوت، تشخيص الطير في شرب الخمر والفلفلة، كذلك استخدم الشاعر صيغة التصغير من (غدوة) في اللفظ (غدية) أي صباح ، كأنه أشار إلى أول اللحظة من دخول الصباح، في تلك اللحظة حيث الجو المريح وهدوء البيئة، أعطى الشاعر التخيل الواسع في تصوير الصورة باستخدام المبالغة في التشبيه.

وفي النهاية وصف الشاعر الصورة اليائسة القبيحة بعد قوة السيل حيث وصف جثة السباع بجدور العنصل، ويروي:" كأن السباع فيه غرقى غدية"[19].قوله: أنابيش، قال أبو الحسن بن كيسان: قال بندار: لا واحد لها، وقال: غيره واحدها أنبوش: وهو عندي أفعول من النبش، والعنصل نبت يشبه البصل. قال أبو الحسن معنى هذا أن هذا الغيث قد أغرق هذه السباع، فهي في نواحيه، ويبدو منها أطرافها، فشبهها بالعنصل، وروي أبو حاتم: كأن سباعا فيكون غرقي نعتا لها على روايته: قال أبو عبيدة: شبه السباع الغرقي، بما نبش من العنصل[20].

نجد أنه صور لنا مشهد شدة السيل تصويرا دقيقا، حيث أشار إلى الوقت فيما بعد الزوال إلى طلوع الفجر بكلمة "عشية"، ثم شبه الحيوانات التي أغرقها السيل بجذور البصل البري بأداة التشبيه (كأن) ، والمطر طول

18 - شرح المعلقات السبع للزوزني، ص41.

19 - شرح القصائد الطوال ص111 .

20 - شرح القصائد التسع المشهورات لأبي جعفر النحاس ص203 – 204 .

اليوم هطل هطولا غزيرا على أماكن متفرقة من شبه جزيرة العرب، فاستأصل الأشجار وأهلك البيوت وأخاف الحيوانات القوية المفترسة، فأغرقها وقضى عليها.

وفي هذا البيت رسم الشاعر صورة هذه الحيوانات المفترسة بأسلوب رائع ولفظ لطيف، فشبه الحيوانات بجذور العنصل وهو بصل بري ينبت تحت الأرض ولا يظهر على السطح منه إلا رأسه، فتلوث هذه الحيوانات بالطين والماء الكدر حين غرقت بسيول هذا المطر، ويظهر لنا المظهر اليائس الذي لا ترى العين فيه إلا قفرا موحشا. واجتمع في البيت خطوط ثلاثة من الصورة الكلية أي خط اللون: سباع وعشية وعنصل، خط الحركة: سباع وغرقي، خط الصوت: أرجائه القصوى، كذلك استخدم الشاعر الصورة الجزئية من الصورة الفنية أي التشبيه بأصول العنصل حتى يبرز شدة السيل وشدة المطر قبله، كأنه التشبيه البعيد و الخيال البعيد ظاهران عندما ألقى هذا التعبير إلى الذهن، لكن لو نتأمل ذلك دقيقا و نخوض ذلك المنظر خياليا، فنجد وصفه يناسب الحقيقة ويعبر تعبيرا محكما ، حيث تغرق الحيوانات المفترسة بالسيل، فيظهر بعض البطن على السيل تلوثا ووسخا بسبب الاختلاط مع الماء والطين، كذلك يمتلأ البطن بالماء حتى يظهر البطن المكبر المنتفخ بشكل مدور حيث يختفي بعض الجسم تحت السيل، فينتشر حثمان الحيوانات على السيل، فهذا المشهد الحزين كمثل جذور العنصل التي تخرج من تحت الأرض تنثر على الأرض عدم الانتظام، استخدم الشاعر كلمة (أنابيش) دلالة على عدم الانتظام لأن معناها هو ما برز على وجه الأرض متفرقا ، فإن (أنابيش) جمع أنبوشة أصول النبت، وسميت بذلك لأنه ينبش عنها أي يخرج منها متفرقا، بذلك تحمل (أنابيش) عل المعنيين : المعنى على أصول النبت التي تخرج من الأرض قريبا لذلك تلوث بالطين والتراب والمعنى على عدم الانتظام، كذلك استخدم الجموع من الكلمات (غريق) و(رجا) و (أنبوشة) دلالة على كثرة السباع وشدة السيل كأنه يغرق كل الحيوانات.

كان السبع القوي يظهر ضعفه أمام السيل القاسي، فقد أعطى الشاعر للشيء العظيم (السباع) وهي غرقي تشبيه لشيء صغير (أنابيش عنصل) دلالة على صغر الشيء العظيم وذلته واحتقاره أمام عظمة البلاء وقوته، ولا

قيمة له أمام سرعة الزوال في الموت من أجل هجاء الشيئ العظيم الفائت، نرى كم من الناس يفتخرون بالقوة والعلم والمال والجاه، عندما يغرقون بسيول الأمراض والكارثة فينحطون عن المكارم والشجاعة والعظمة. كما عرفنا من سيرة الشاعر امرئ القيس أن حياته مليئة بالمصائب والكوارث، كان ابن الملك الذي عاش بإسراف وترف، وبعد موت أبيه عاش بالطرد والمقاتلة، و في النهاية مات في أنقرة متأثرا بظهورقروح في جسمه ، أي مات موحشا وحزينا وبائسا، حينما وصف بئس السباع بعد الموت كأنه وصف نفسه بعد المصيبة والطرد.

على كل حال أدخلنا الشاعر إلى المشهد الجميل بعد قوة السيل، ثم المشهد القبيح، أي تحويل من الجميل إلى القبيح، ومن الخير إلى الشر،كأنه أراد أن يخبرنا بالحكمة القيمة، أي "لعل الخير يكمن في الشر" كل أمر له ناحية في الخير وناحية في الشر، فليس شرا تماما وليس خيرا تماما، كما قال الله تعالى في القرآن {وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}[21] فالسيل فيه الخير وهو كذلك فيه الشر.

كذلك تحول الشاعر في وصف الطبيعة من الخير إلى الشر كأنه وصف حياة نفسه، إذ إن حياة امرئ القيس ميئلة بالارتفاع والهبوط، في البداية عاش وسط حياة ملئهاالإسراف والترف في القصر، وبعد قتل أبيه عاش عاش مصاحبا للمصائب وتنقل بين القبائل العربية مع قليل من الأهل والأصدقاء، وقست عليه الحياة والظروف، فتنقل بين النصر والهزيمة، وفي النهاية مات وحيدا، لذلك يسمى بالملك الضليل، فسقط من الحياة الناعمة إلى الحياة الأليمة، لذلك لا عجب عندما نرى وصف الشاعر وانتقاله من وصف المنظر الجميل إلى وصف المنظر القبيح، فكأنه وصف حياته وعبر عما في نفسه من الحزن والألم.

أضف إلى ذلك أن الشاعر أدخلنا إلى المشهد الذي يمتلأ باليأس والخراب والجمود، ومعروف أن البلاد العربية منذ القدم نادرة المطر ، تميل طبيعتها إلى الجفاف واليبس، فالعربي الجاهلي كان يعيش في الصحراء ليس

21 - سورة البقرة، الآية 216.

عنده مقومات للحياة إلا الماء الذي ينبت به الزرع فينتظر نزول المطر بحرارة الشوق وشدة التطلع، فكثرت موضوعات الشعر في وصف المطر مدحا إيجابيا، لكن الشاعر إمرئ القيس لم يتبع طريقة الشعراء الآخرين في مدح المطر فقط، بل وصف المشهد السلبي من غزارة المطر وشدة السيل والنتائج السلبية من وصف جثمان الحيوانات، كأنه أراد أن ينبه إلى حكمة ما وأن أي كل شيئ ممدوح إذا تجاوز حده ربما انقلب إلى ضده، فأدى إلى نتائج هزيلة، فإذا كثرت الثروة فربما أصابت بالكارثة، كأن الشاعر لم يصف السيل مجردا، بل أراد أن يشير إلى الحكمة العميقة باستخدام الخيال الواسع.

الخاتمة والنتائج

كان الشاعر الجاهلي كان فطريا بسيطا كبساطة بيئته، وان الخيال في الجاهلية كان لا يزال يعتمد على التشبيهات والاستعارات أكثر من اعتماده على انتزاع الصور من الطبيعة، فالشاعر امرؤ القيس هو الذي يتميز بالشعرية الفريدة والفطرة العالية، وقد عاش في البيئتين المختلفتين ، فترة الإسراف في القصر وفترة شديدة في الطرد والمقاتلة، وهذا أدى إلى التأثير الواضح في عناصر تخييل التصوير حيث لا يتخيل شيئا مجردا إلا يرتبط بشعوره وغرضه.

ولعل أبرز النقاط التي أريد أن أبينها هي:

أولا: الشاعر امرؤ القيس هو أمير الشعراء و من شعراء الطبقة الأولى في عصر الجاهلية، وشاعر بمنزلة عظيمة في مجال الأدب العربي حتى الآن، خاصة معلقته التي نظمها تكون نموذجا لدي الشعراء بعده في النظم والأسلوب.

ثانيا: تظهر الدراسة بأن الخيال هو قدرة الإنسان على تمثل الأشياء الحسية والمدركات الخارجة عن طريق ملكة التفكير، وله دور كير في توضيح الصورة.

ثالثا: أسلوب الخيال لامرئ القيس يتصف بدقة المعنى وسعة الفاعلية وعمق العاطفة.

رابعا: رسم الشاعر الصورة قوة السيل بأسلوب رائع ولفظ لطيف، واجتمع المشهدان الواصفان للجمال والقبح، كأنه وصف حياته من نعومة أظفاره إلى حالة قاسية طريدة، فاستخدم الخيال الواسع في التصوير ليظهر ضعفه أمام الحالات المضطرة ويبرز حزنه وألمه أمام الحياة القاسية.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1- أبو بكر مُحَمَّد بن القاسم الأنباري، **شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات**، دار المعارف، الطبعة الخامسة2008م.

2- أبو جعفر أحمد بن مُحَمَّد النحاس **شرح القصائد التسع المشهورات**، دار الحرية للطباعة مطبعة الحكومة بغداد 1973م.

3- أبو الفرج الأصفهاني **الأغاني** ، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية.

4- أحمد الأمين الشنقيطي نزيل **المعلقات الشعر وأخبار قائليها** ، الناشر مكتبة الخارجي بالقاهرة، الطبعة الثالثة 1413هـ - 1993م.

5- **تراجم شعراء الموسوعة الشعرية** .

6- جابر عصفور، **الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغية**، دار الثقافة، القاهرة، 1974م.

7- حنا الفاخوري، **تاريخ الأدب العربي** ، للمكتبة البولسية، الطبعة الثانية عشرة 1987م.

8- خالد بوزياني، **الصورة الأدبية وخصائصها اللغوية عند البلاغيين والأسلوبيين**، جامعة الجزائر 2007.

9- خير الدين بن محمود بن مُحَمَّد بن علي بن فارس، **الأعلام**، الزركلي الدمشقي ، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر - أيار / مايو 2002 م.

10- عبد الله خضر حمد، **السبع المعلقات دراسة أسلوبية**، دار القلم، بيروت لبنان .

11- مُحَمَّد ابن سلام الجمحي، **طبقات فحول الشعراء** ، تحقيق محمود شاكر، دار المعارف مصر 1952م.

12- مُحَمَّد الخضر حسين التونسي، **الخيال في الشعر العربي**، المكتبة العربية في رمشق، المطبعة الرحمانية، 1922م.

13- مصطفى درواش، **الموقف النقدي لجماعة الديوان من الشعر العربي**، مخطوط رسالة ماجستير، كلية الآداب جامعة بغداد.

14- مصطفى عبد الشافي ضبطه وصححه، **ديوان امرئ القيس** ، دار الكتب العلمية، ط5 2004م .